ندرك تماما تأثير الصحافة ، علينا أن نحلل كلامها بصفته نتاجا ايديولوجيا . ان علم اجتماع الايديولوجية الذي أتى به ماركس وانجلز في « الايديولوجية الالمانية » يقدم لنا أدوات تحليل ، ما زالت حتى الآن جنينية . ونجد هذه الادوات كذلك عند مفكرين كلويس التوسير وأنور عبدالملك وفيدال وبولنتزاس(١) .

لنبدأ أولا بتحديد موجز للايديولوجية وصياغة بعض الملاحظات النظرية الاساسية حول هذا الموضوع . « ان الأيديولوجية السائدة هي الاطار البنيوي — الفوقي — الافكار ، النظريات ، الاساطير ، المعتقدات — الذي يبرر ، على صعيد البنية الفوقية الظاهرة والضمنية ، عقلانيا وشعوريا ، النظام السياسي — الاجتماعي أي أنه يبرر نمط أو طريقة ابقاء تشكيلة أو مجموعة تشكيلات اجتماعية اقتصادية وطنية بشكل دائم في مجتمع ما في مرحلة معينة من تطوره التاريخي » (أنور عبد الملك ، **الجدلية الاجتماعية** ، ص ٢٤) . وهذا ما يدفعنا الـــى التأكيد على بعض الافكار :

أ — ان كل ايديولوجية هي تتابع : فهي ليســـت بنظام قيم سابقة الوجود بالنسبة الى النظام الاجتماعي الذي يكون والحـــالة هذه قائما عليها بل أنها على العكس من ذلـــك تتابع هذا النظام الاجتماعي وهذا التتابع يتغير بتغير النظام . فنحن لا نبني مثلا نظاما اجتماعيا باحتراف مبادىء الديمقراطية مثلا بل اننا ننتج نظام القيم المسمى بالديمقراطية لتبرير نظام اجتماعي قائم ولاضفاء الشرعية بممارسات اقتصادية وسياسية محددة . الا ان النتيجة الاولى التي تعطيها الايديولوجية هي أنها توهمنا بالعكس فتجعلنا نعتقد ان النظام الاجتماعي هو نتاجها وان القيم هي التي تملي او تفرض الممارسات .

ب — الايديولوجية السائدة هي من تتابع الاجهزة الايديولوجية (العائلة ، المدرسة ، الكنيسة ، وسائل الاعلام الخ ..) التي تقيمها طبقة مسيطـــرة لتبرر ممارساتهـــا الاقتصادية والسياسية ولتحافظ على النظام الاجتماعي الذي تفرضه . ذلك أنه ليس هناك الا طريقتين للابقاء والمحافظة على الاستغلال الاقتصادي الذي تمارسه طبقة ضد أخرى : الطريقة الاولى ذات طبيعة سياسية وهي القوة والقمع والعنف القانوني التي تحولت الى مؤسسات من خلال الاجهزة السياسية . أما الطريقة الثانية فتتلخص في جعل المستغلين لا يدركون أنهم مستغلون فيجدون أن المكان الذي يحتلونه في العلاقات الاجتماعية هو مكانهم الطبيعي والعادي والمقبول : وهذا ما يسمى بالايديولوجية .

ج — تنتج الايديولوجية السائدة ثلاثة تأثيرات : ١ — تأثير من جهة **المعنى** : فهي تعطي معنى للعلاقات الاجتماعية وتحدد مغزى الممارسات الاقتصادية والسياسية . ٢ — تأثير من جهة **النظام** : فهي تبرر النظام الاجتماعي الاقتصادي القائم وتضفي عليه غطاء من الشرعية وتعطي مظهر الوحدة والاجماع . وهكذا تحول دون نشوء وعي طبقي ، وعي صراعي — صدامي وتحول بالتالي وتعوق الصراع الطبقي . ٣ — تأثير من جهة **الحركة** : فهي تعبىء العناصر العاملة في المجتمع وتعطيها اندفاعا وحماسا ورغبة في العمل والانتاج داخل نظام العلاقات الاجتماعية التي حددتها الطبقة السائدة .

د — لا غنى عن الايديولوجية في أي حياة اجتماعيـــة (فهي ليست شـــرا ولا خيرا) والانسان ، بدون الايديولوجية ، لا يستطيع أن يعيش . وهي ضرورية في المحافظة على سيطرة ما (الايديولوجية المسيطرة) بقدر ما هي ضرورية للنضال ضدها (الايديولوجية

---

١ — كارل ماركس وف. انجلز : **الايديولوجية الالمانية** .
— لويس التوسير : ١ — **دفاعا عن ماركس** . ٢ — **الايديولوجية والاجهزة الايديولوجية للدولة** .
— انور عبد الملك : ١ — **الجدلية الاجتماعية** . ٢ — **الايديولوجية والنهضة الوطنية** .
— د. فيدال : ١ — **ملاحظات عن الايديولوجية** . ٢ — **محاولة عن الايديولوجية** .
— بولنتزاس : ١ — **السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية** . ٢ — **الفاشية والدكتاتورية** .